

## معركة تحرير العراق

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

ذلك الذي كان سائداً في عهد صدام حسين؟

الجواب بكل بساطة أن العراق صار، أكثر من أي وقت مضى، أسير دخله النفط. فوق ذلك كله، بات عليه أن يتقاسم أيضاً دخله النفط مع إيران التي تعتقد أن عليها طغى الكيل في العراق بعدما أصبح اقتصاده اقتصاداً ربيعياً ولا شيء آخر، وبعدها بلغ الفساد درجة لا تطاق وبعدها وجد الآلاف الشباب أنفسهم في الشارع. لا مكان يذهب إليه هؤلاء سوى الميليشيات الذهبية أو إحدى الوظائف الحكومية التي تجعل منهم مواطنين غير منتجين لا مستقبل لهم. نعم صار العراق الغني بثروته الإنسانية وبالمياه والنفط أقرب إلى صحراء قاحلة من أي شيء آخر. سيطر التصحر على كل صعيد، خصوصاً فكرياً. لم يعد في العراق مكان لشخص عاقل يفهم في الحد الأدنى من السياسة والاقتصاد. فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بالفن والأدب والفكر والموسيقى، حيث أبدع العراقيون كما لم يبدع سوى قلة غيرهم من أبناء المنطقة؟

من هذا المنطلق، تبدو المعركة الدائرة الآن بين من يريد التغيير مهما كلف الثمن، وبين من يريد المحافظة على الوضع الحالي مهما كلف الثمن. معسكران راديكاليان، ولا وسيط بينهما. إنها بكل بساطة معركة كسر عظم حقيقية. إنها معركة بين الميليشيات التي تقف خلفها إيران من جهة، مع شباب عراقي يقدر عدده بعشرات الآلاف من جهة أخرى. الكلام هنا عن شباب مستعد للموت من أجل قيم لم يعيشها يوماً. في مقدم هذه القيم الروح الوطنية، والشعور بالانتماء إلى العراق الغني ذي الاقتصاد المتنوع. هناك بكل بساطة شباب عراقي يريد تحرير بلده الذي يعتبره محتلاً من الميليشيات وإيران...

شباب عراقي يريد تحرير بلده الذي يعتبره محتلاً من الميليشيات وإيران...

تبدو المعركة التي يخوضها الشباب العراقي حالياً معركة طويلة. ستكون معركة تحرير العراق معركة قاسية نظراً إلى أن إيران تدافع في العراق عن نظامها المفلس. ليست لديها سوى ثروات العراق تواجه بها العقوبات الأميركية وتلتف تجاهها عليها. ولهذا السبب، لا بد من توقع مزيد من الوحشية في التعاطي مع الشباب العراقي المتظاهر الذي يخوض معركة حياة أو موت. هذا الشباب يعرف جيداً أن ما تريده إيران، على الرغم من كل ما تواجهه من صعوبات على الصعيد الداخلي، هو تصدير تجربتها إلى العراق. إذا كان النظام الإيراني محكوماً من "الحرس الثوري"، فإن النظام العراقي يجب أن يكون محكوماً من "الحشد الشعبي" الذي تتحكم به طهران. هذه هي المعادلة التي يريد الشباب العراقي كسرها على أمل أن يعيش يوماً في ظل دولة لا علاقة لها بالثورة الشيعية تعتبر نسخة طبق الأصل عن الإخوان المسلمين في البلدان ذات الأثرية السنية.

المارقة أن إيران أعدت نفسها معركة العراق. لذلك، عملت، عبر حكومة عادل عبدالمهدي، على التخلص من كل من يمكن أن يقف موقفاً تشتم منه روح وطنية عراقية. لا سبب آخر لإزاحة الفريق عبدالوهاب الساعدي من موقعه العسكري كقائد قوات جهاز مكافحة الإرهاب في الجيش العراقي. كان الساعدي القائد الفعلي لهذا الجهاز الذي أظهر كفاءة كبيرة، لكنه أظهر ما هو أهم من ذلك كله. أظهر أن هناك روحاً وطنية عراقية. هذه الروح الوطنية هي المطلوب القضاء الذي يتصدى حالياً للشباب العراقي الذي يخوض معركة تحرير بلده. مرة أخرى، إن معركة تحرير العراق ستكون طويلة وهي ليست مقتصرة على تحرير من الميليشيات الذهبية، بمقدار ما أنها معركة ذات طابع آخر أيضاً مرتبط باقتصاد

منتج وعودة الحياة العلمية والثقافية والفنية والأدبية، أي إلى العراق الذي لم تستطع الأنظمة التي جاءت بعد انقلاب 14 تموز (يوليو) 1958 القضاء عليه كلياً... انفصال جنوب السودان، خلفت وراءها



## أزمة الترتيبات الأمنية بعد توقيع اتفاقيات السلام

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

أعادت الخلافات الجديدة بين رئيس جنوب السودان سلفا كير ميارديت، وخصمه ومعارضه ريبك المشار، أزمة الترتيبات الأمنية إلى الواجهة، حيث رفض الثاني المشاركة في حكومة انتقالية مع حلول 12 نوفمبر المقبل قبل التنازل وإيجاد تسوية نهائية لهذه القضية، وطالب بتأجيل الحكومة ستة أشهر أخرى، وهو ما يضع البلاد أمام أزمة أكبر، إذ باتت أعين المجتمع الدولي مصوبة عليها، أملاً في البحث عن مسار نهائي لتطبيق اتفاق السلام بين الفريقين.

لم يدرك كل من كير ومشار، الأهمية الرمزية التي ينطوي عليها قيام مجلس الأمن الدولي بعقد اجتماع له في 20 أكتوبر الجاري في جوبا، من زاوية أن المنطقة مقبلة على استحقاقات صعبة للسلام، تستوجب تقديم تنازلات من جميع الأطراف، لإنهاء الصراعات المتفاقمة وتسهيل التسويات السياسية وتنفيذها على الأرض بما يسمح بتوفير الأمن والاستقرار.

مضى كل طرف في طريقه لتأمين مستقبله وفريقه المسلح، وكان دروس السنوات الماضية ليست كافية لاستيعاب وجود رغبة إقليمية ودولية لإطفاء الحرائق التقليدية، وقراءة ما يجري من تطورات في دول مجاورة، تسعى لخلق صفحات الاقتتال ووقف التوترات، تمهيداً للدخول في مرحلة جديدة عمادها السلام وقوامها التنمية المشتركة. تشير الترتيبات الأمنية والبيانات مشكلات بين جميع الأطراف المتخاصمة التي تصل إلى اتفاق سلام عقب فترة مضنية من المفاوضة، بعد تضخم نفوذ الحركات المسلحة وعناصرها في الدولة التي يتقاتلون فيها مع حكومات أو جماعات أخرى، ولا يعرف هؤلاء سوى لغة الصراعات، وهو ما تكرر في دولة السودان، فقد دخل السلام المطلوب مرحلة تشبه الولادة القيصرية بكل ما تحتاجه من مهارة جراحية لإنقاذ السودان.

قطعت الجبهة الثورية، الممثلة حالياً لخمسة فصائل مسلحة في دارفور وولايات جنوب كردفان والنيل الأزرق، شوطاً مهماً في مسار السلام مع السلطة الانتقالية في الخرطوم، ووقعا اتفاق مبادئ في جوبا تطرق إلى العناوين العريضة في القضايا الخلافية، ومضت الأمور بشكل سلس، غير أنها لم تخل من عقبات أدت إلى تأجيل المفاوضات. ظهرت الترتيبات الأمنية بين الجانبين كمسألة تحتاج إلى مزيد من الحوارات والمناقشات لحل الكثير من المشكلات المتعلقة بها، فالربح الأهلية الممتدة سنوات طويلة، قبل وبعد انفصال جنوب السودان، خلفت وراءها

خرجت القوى الثورية منتصرة، ممثلة في تحالف الحرية والتغيير ومن بين مكوناته تحالف نداء السودان الذي يضم الجبهة الثورية الجامعة للحركات المسلحة.

وقر هذا الانتصار لقيادات الفصائل المسلحة قوة سياسية وعسكرية مزدوجة، جعلتها تصر على التوصل إلى ترتيبات عادلة في المناطق التي شهدت نزاعات مذبذبة، ولم تضم مكونات السلطة الانتقالية طرفاً مسلحاً حتى الآن. حرصت الجبهة الثورية على الاحتفاظ بمسافة بعيداً عن الجسم السياسي للحكومة وقوى الحرية والتغيير حتى تحسم الكثير من القضايا العالقة والشائكة، وفي مقدمتها الترتيبات الأمنية التي يمكن أن تتحول إلى منغص وتهديد مستقبل السلام الشامل في السودان، ما لم يتم تدارك الخلافات خلال المهلة الممنوحة للعودة إلى طاولة المفاوضات.

مزت القارة الأفريقية بحروب أهلية كثيرة ونماذج عديدة لحل أزمة الترتيبات الأمنية في الحالة التي تخرج فيها الأطراف المتصارعة بنتيجة تبدو قريبة من شعار "لا غالب ولا مغلوب"، لأن الصيغة النمطية الخاصة بوجود منتصر ومهزوم، ينهي فيها الطرف الأول عملية السلام بالضربة القاضية وبالطريقة والتفاصيل التي يريدها، بينما تكاد الثانية طويلاً لفك عقد الأزمة، كما هو حاصل في السودان وجنوب السودان.

هناك مسارات كثيرة تدخلها الترتيبات الأمنية إذا كانت المعادلة متقاربة أو المسافة الفاصلة بين الجهات المخترطة فيها ليست كبيرة من حيث القدرات العسكرية، أبرزها استيعاب بعض العناصر البشرية في مؤسستي الجيش والشرطة وقافيا، بعد عملية فرز محترفة، والتسريح بإحسان ودفع تعويضات مناسبة لكل من شاركوا في الصراعات.

وتتزايد الأهمية حسب الدور، فإذا كان هؤلاء من المنتصرين يصبح التعويض سخياً، والعكس إذا كانوا من المنكسرين وقبلوا بالسلام، وربما لا يخلو الأمر من تصفية ومحاکمات لكل من ثبت تورطه في ارتكاب جرائم تسيء إلى السلام المنشود. من حسن حظ دولتي السودان وجنوب السودان أن لديهما مؤسسة عسكرية صامدة، والحركات المسلحة فيها لا تزال تحافظ على القوام الوطني، وابتعدت غالبيتها عن الحرب بالوكالة التي راجت إقليمياً، بما يتيح الفرصة للنظام حول ترتيبات أمنية تراعي المصالح العليا للبلاد والعباد، قبل أن يتحول السلام إلى رماد.

ما حدث في السودان وجنوب السودان تكرر في كل الدول التي شهدت صراعات مسلحة، فعندما تتوقف المدافع عن الضجيج ويجلس الجميع إلى الطاولة تقفز على الفور قضية الترتيبات الأمنية التي تجعل صيغة السلام مستقرة، أو متحركة ويمكن أن تندلع مرة أخرى، ما يتوقف على التفاهات الدقيقة التي تتناول تفصيلاً بنود السلام وتطبيقها حرفياً، وعدم ترك مساحة لمراعات جهات مسلحة متضررة منه، وغالباً ما يكون هناك خاسرون وطامعون وراغبون في الحفاظ على مكاسب جنونها خلال الحروب.

تمثل الترتيبات الأمنية التالية لوقف الصراعات أزمة عميقة لكل الدول التي حاولت طي هذه الصفحة القاتمة، فإذا كانت الحرب مدمرة ويحتاج قرار وقفها لإرادة قوية، فإن مرحلة السلام أشد قسوة ويحتاج إلى إرادة أكبر، خاصة لدى الأطراف التي تمكّل مخزوناً واسعاً ونوعياً من الأسلحة والمعدات العسكرية، مكنت أصحابها من تحقيق مكاسب يصعب التخلي عنها.

ولذلك يصمم الطرف المنتصر أن تكون ترتيبات ما بعد الحرب تميل إلى صالحه، وتضمن الحفاظ على عناصره من خلال استيعابها داخل مؤسسات نظامية، أو توفير ملاذات تضمن لهم حياة آمنة خالية من الملاحقات أو المحاسبات القانونية.

تمتدّ بعض النزاعات فترات طويلة من الاقتتال بسبب عجز أطرافها عن الوصول إلى حل مناسب لمصير الحركات المسلحة، أو دخول عملية تحديد المصير في نقم مسدود، فيجد الجميع في الحرب حلاً مناسباً إلى حين تنضج الأجواء الدافعة إلى القبول بسلام كامل أو ناقص، وتلعب توازنات القوى دوراً حيوياً في تحديد شكل الترتيبات الأمنية اللاحقة عندما تصمت انفجارات القنابل، لأنها تميل بالطبع إلى صالح الأطراف الراجحة وتجبر الخاسرين على التقيد بمكونات السلام وبقا للصيغة التي يضعها المنتصرون.

تتعاطل الأزمة عندما تكون جميع الأطراف متساوية في القوة أو الهشاشة. ففي دولة جنوب السودان أجبرت الحرب الأهلية الفريقين (كبير ومشار) على الرضوخ لفكرة السلام التي تم التوصل لها في أديس أبابا منذ حوالي أربع سنوات، الأمر الذي فشل عند التطبيق الأول. وجرى توقيع اتفاق سلام تفصيلي منذ نحو عام، ولا زال متعثراً، لأن النتيجة التي أفرزتها سنوات الحرب لم تكن حاسمة لصالح أحد الطرفين وواجهت تفسيرات مختلفة، وما نجم من وفاق نسبي وليد معادلة راعت عدم الخسارة، وهو ما جعل كل طرف يبدو منتصراً لدى أنصاره، ويستلزم تعامله على هذا الأساس عند إقرار الترتيبات الأمنية بشكل نهائي. شيء قريب من ذلك يحدث في السودان حالياً، فعندما سقط نظام الرئيس عمر حسن البشير بفعل ثورة شعبية شاركت فيها الحركات المسلحة، بصورة غير مباشرة،

